سينما

السينما في فرنسا 2023

تحسّن ملحوظ ونقاش حيوي

في تقريره السنوي، أشار «المركز الوطني للسينما» في باريس، إلى تحسّن ملحوظ في وضع الحركة السينمائية، إنتاجاً ومشاهدة وأنواعاً

باريس ـ **ندى الأزهري**

تميّز عام 2023 بحيوية السينما في فرنسا، مع اقتراب مستوى التردّد على الصالات إلى ما كان عليه قبل الأزمة الصحية (كوفيد-19)، وارتفاع الإنتاج الفرنسي من الأفلام، وبالتالي حصته في السوق التي اعتبرت أكثر من مرضية.

تبدي الدراسة الموسّعة والشاملة عن السمعي البصري، التي نشرها أخيراً «المركز الوطني للسينما والصورة المتحركة» في فرنسا، عن عام لافت، مع وصول عدد التذاكر المباعة إلى نحو 181 مليون تذكرة، بزيادة 19%، مقارنة بعام 2022. ورغم اللحظات القاتمة، والتحدّيات التي واجهها الفن السابع مع بداية عام، بدا غير مؤكّدٍ وباعثٍ على التشاؤم، لارتفاع التضخم وأسعار الطاقة، أزاح النجاح القلق جانباً.

أعادت الدراسة سبب النجاح هذا إلى جودة الإنتاج الفرنسي وتنوّعه، واستمرار متعة الفرنسيين في التوجّه إلى السينما. في اقترابها تدريجياً من مستواها قبل الأزمة، تتفوّق فرنسا على دول أوروبية عدّة، مع نسبة تردّد على الصالات تقلّ 13% فقط عن متوسّط فترة 2017 . 2019، التي تُعتبر ميزاناً لما قبل كورونا. هذه نسبة أدنى بكثير من تلك المُسجّلة في المملكة المتحدة (- 29%) وألمانيا (- 17%).

أشارت الدراسة إلى أنّ الإبداع الفرنسي في أفضل حالاته نتيجة الدعم، مع عرض 298 فيلماً فرنسياً معتمداً من المركز. بذلك، عاد إنتاج الأفلام الفرنسية (زيادة 4% تقريباً) إلى المستويات التي كان عليها قبل الأزمة الصحية، وسجّل الفيلم الفرنسي نسبة 40% في السوق الفرنسية، مع أكثر من 70 مليون مشاهد. ورغم تراجعها 1% عن 2022، لا تزال هذه النسبة مرتفعة، قياساً إلى سنوات ما قبل كورونا. يعود الفضل في ذلك إلى أنّ وجود الأفلام الأميركية لم يزلّ أقلّ من مستوياته السابقة للأزمة، إذْ يكتفي حالياً بحصة لا تتجاوز 42% في السوق الفرنسية (49% معدّله السابق)، مع 86 فيلماً (127 سابقاً). ويفيد تراجع حضور الفيلم الأميركي في السوق الفرنسية الفيلم الآخر، الأوروبي (13%) وغير الأوروبي، الذي وصل إلى 5%، وهذه أعلى نسبة في السوق منذ عام 2014.

في العام الفائت، عُرض 9301 فيلم، 716 منها لأول مرة، وسيطرت عليها الأفلام الفرنسية (406 أفلام). كما شهدت السينما الأخرى (غير الأميركية) صعوداً قوياً، بلغ أعلى مستوى، مع 126 فيلماً، غلب عليها الحضور الهندي (32)، فاليباني (28 فيلماً) والكندي (13) والكوري (6). بينما يحقّق 50 فيلماً فقط نحو 60% من نسبة المشاهدة كلّها، فإنّ ما يجذب أعداداً تقلّ عن 10 آلاف مُشاهد يبلغ 277 فيلماً، يشكّل الأميركي 13% منها. وعن الأنواع السينمائية التي يميل إليها الفرنسيون، تحتلّ أفلام المغامرات المركز الأول، وهذا يُعتبر قيمة مؤكّدة، ولا تزال تستقطب الجمهور منذ عام 2018، إذْ حقّق 54 فيلماً منها، خاصة الأميركية، 22% من نسبة المشاهدة، تليها أفلام الكوميديا التي حقّقت 20% من 87 فيلماً معروضاً. وتشكّل تلك نحو 80% من الإنتاج الفرنسي، الذي يُقبل عليه 38% من نسبة مشاهدي السينما الفرنسية.

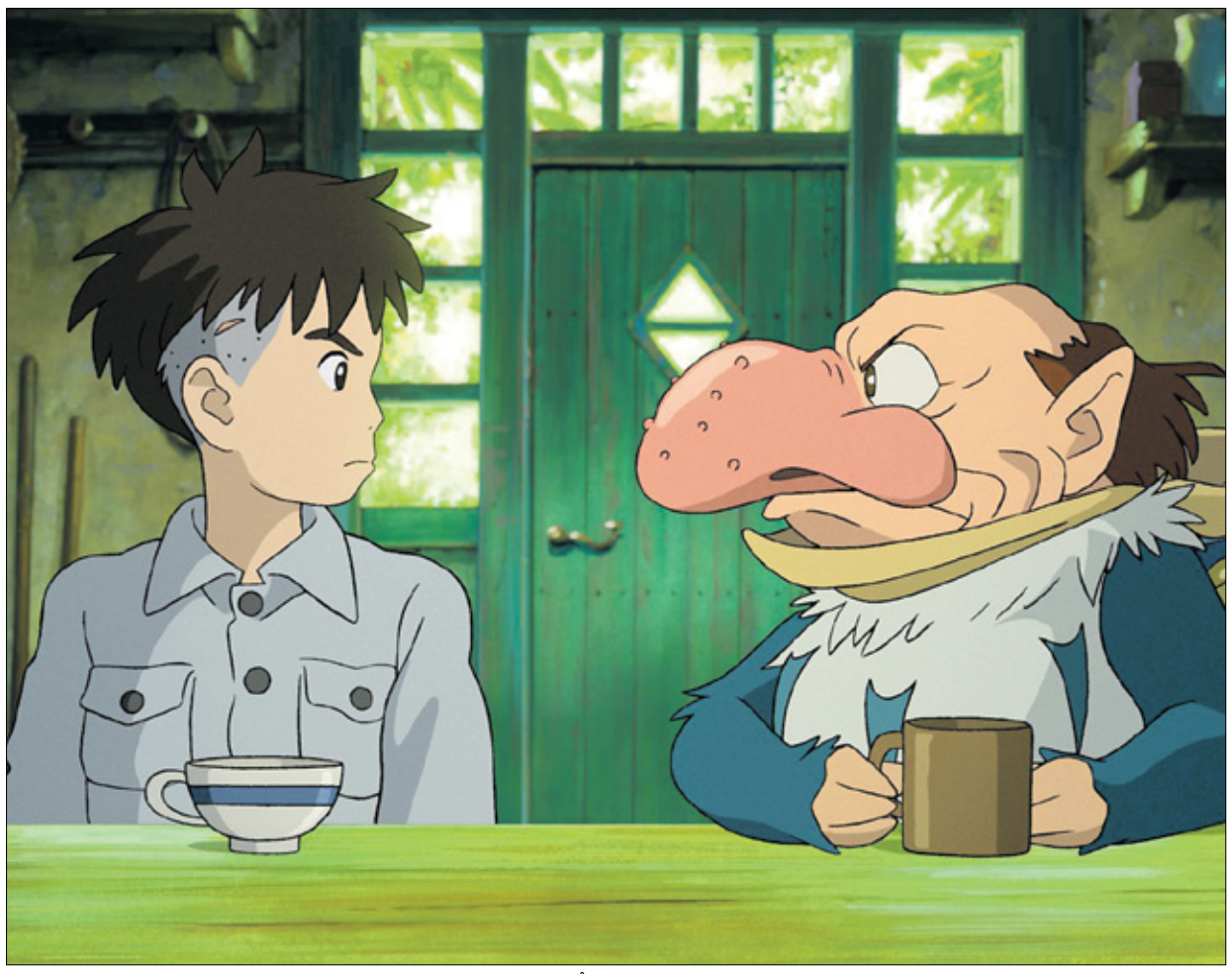

«الصبي ومالك الحزين» لهاياو ميازاكي: للتحريك حضور قوي في فرنسا (استديو غيبْلي)

جودة إنتاج وتنوّعه واستمرار متعة الفرنسيين في الصالة

يُذكر أنّ التردد على الفيلم القصير في فرنسا بلغ رقماً قياسياً، بزيادة تجاوزت 12% عن عام 2022. كما شهد فيلم التحريك إنجازاً تاريخياً، مع عرض 59 فيلماً، ما شكّل 6% من مجموع الأفلام المعروضة. ووصل مع الفيلم الدرامي إلى مستويات ما قبل الأزمة. فيلم التحريك الأميركي «الإخوة سوبر ماريو بروز»، لآرون هورفان وميكائيل جيلينيك، المنتج في فرنسا، كان في قمة لائحة الأفلام العشرة الأولى الأكثر شعبية. كما استقطب الياباني «الصبي ومالك الحزين» لهاياو ميازاكي أعداداً كبيرة. أما الوثائقي، فحقّق أسوأ نسبة منذ عام 2015، إذْ شكّل 1% فقط من نسبة المشاهدة، وتراجع حضوره من 137 فيلماً عام 2022 إلى 115، وهذا بعد فترة انتعاش لسنوات عدّة، باتت فيها عناوينه منتشرة إلى جانب الروائي الطويل، ما يدعو إلى السؤال عمّا إذا كان هذا الهبوط يُشكّل طفرة، أم تياراً سيستمر. يُشار إلى أنّ كلّ شخص في فرنسا يتردّد على صالات السينما بمعدّل 2,7 مرة، وتُسجّل باريس الرقم الأعلى في نسبة تردّد ساكنيها على السينما، بمعدّل ثماني مرات سنوياً.

في بلد «الاستثناء الثقافي»، عادت الأفلام التي يصنّفها «المركز الوطني» في خانة «فن وتجربة» (التي تتضمّن مختلف الأنواع السينمائية) إلى نسبها السابقة على كورونا، إذْ عرض منها 421 فيلماً جديداً، بينها 266 فرنسياً و26 أميركياً. وبلغ التردّد عليها 26% من نسبة الدخول العامة. بينها، احتلّ الفرنسي «تشريح سقوط» لجوستين ترييه المركز الـ29 في لائحة الأفلام التي باعت أكثر من مليون بطاقة (1,6 مليون)، بينما وصل الأميركي «أوبنهايمر» لكريستوفر نولان إلى المركز الخامس (4,4 ملايين). هذه الأرقام، «السعيدة» بمعظمها، تغطّي واقعاً أكثر تبايناً، إذْ بَيّن تقرير، نشره قسم «الوساطة السينمائية»، صعوبات متزايدة يواجهها الموزّعون المستقلّون في الحصول على صالاتٍ لأفلامهم ذات التوازن الاقتصادي الهشّ. كما شهد عام 2023 جدلاً حول السينما الفرنسية، التي عانت صدمة غير مسبوقة مع أزمة كورونا، بين مؤيدين للبحث «عن توازنات جديدة»، والحدّ من الدعم الذي تقدّمه الدولة للحفاظ على الاستثناء الثقافي الفرنسي، وأوّله السينما، ومؤيدي تدخل أكبر للسلطات العامة في القطاع. عانت صدمة غير مسبوقة مع أزمة كورونا، بين مؤيدين للبحث «عن توازنات جديدة»، والحدّ من الدعم الذي تقدّمه الدولة للحفاظ على الاستثناء الثقافي الفرنسي، وأوّله السينما، ومؤيدي تدخل أكبر للسلطات العامة في القطاع.

أنْ تكون أفلامٌ عربية مرآة صادقة لواقع

نديم جرجوره

خمسة أفلام عربية من أصل عشرة، ستُعرض في مسابقة الأفلام الروائية الطويلة، في الدورة الـ11 (19 . 25 سبتمبر/ أيلول 2024) لـ«مهرجان طرابلس للأفلام» (شماليّ لبنان). أيكون هذا توازناً جغرافياً، أمْ أنّ السينما العربية تُنتج ما يستحقّ الاختيار والمشاهدة؟ إنْ يكن هناك توازنٌ بين المسألتين، فهذه إضافة إلى مهرجان، يواجه تحدّيات شتّى (لعلّ أبرزها التمويل)، كمهرجانات لبنانية أخرى، في ظلّ انهيار داخلي (متنوّع الجوانب) يزداد قسوة، ودمار في المحيط (حرب الإبادة الإسرائيلية في قطاع غزّة) يُنذر بحربٍ أوسع وأعنف. فيلمان اثنان عربيان مُشاهَدان قبل بدء الدورة الجديدة: «إن شاء الله ولد» للأردني أمجد الرشيد، و«وداعاً جوليا» للسوداني محمد كردفاني. منذ عروضٍ دولية (أولى وثانية وغيرهما) في العام الفائت (تاريخ إنتاجهما)، يستمرّ نقاشٌ إيجابيّ عنهما، والمُشاهدة، وإنْ تأخّرت، تقول إنّ فيهما تفاصيل كثيرة تستدعي النقاش، وجمالياتهما السينمائية ممتعةٌ رغم كلّ الخراب المنبثق من أهوال فردٍ في بيئة مُعادية له. أمّا كونهما «أول فيلم» للمخرجَين، فلن يحول دون إنجاز متين الصُّنعة السينمائية، نصّاً ومعالجةً وإخراجاً وتصويراً وتمثيلاً، مع ما يحتمله «أول فيلم» من هناتٍ، يُمكن التغاضي عنها، مع أنّ التغاضي خطأ، لكنّ ما فيهما من جماليات كافٍ لتغاضٍ كهذا.

مشتركٌ آخر بينهما، يتمثّل بحضورٍ طاغٍ للمرأة، أمّاً وزوجةً، وامرأة أساساً. وهذا غير مرتبطٍ بنسويةٍ نضالٍ وتفكير، بل بوقائع عيش وانفعالات وعلاقات، في مجتمعين عربيين، يعانيان أهوالاً في الاجتماع والحبّ والجسد، وفي ذكورية وحربٍ طائفية وتفاوتٍ طبقي، فيه شيءٌ من عنصرية وتَغال. مع أنّ المرأة فيهما مكافحةٌ فعلياً من أجلّ حقوقٍ لها، يُفترض بها (الحقوق) أنْ تكون لها أساساً، من دون كفاح. لكنّ المجتمع قاهِرٌ، والحرب حاقدةٌ، وفعل التحدّي، الذي تمارسه المرأة، واقعٌ.

هذا غير لاغٍ حضور الرجل أيضاً، وحضوره طاغٍ بدوره، مباشرة (إنْ شاء الله ولد) أو موارَبة مع بعض ظهور وتأثير (وداعاً جوليا). لكنّ الفيلمين يبتعدان عن إدانةٍ وأحكام، فالواقع والراهن واليومي والمُعاش كافيةٌ كلّها، إنْ تُصوَّر بواقعية وشفافية ومن دون مبالغات، لإدانةٍ وأحكام. عنفه المبطّن، وسطوته الواضحة، واعتماده موروثاتٍ تتلاءم ومكانته السلطوية، مسائل حاضرةٌ في واقع، ينقل أمجد الرشيد بعضاً منها. تواريه خلف واجهة المشهد غير مانع حضور تأثيراته، وغالبيتها سلبية، في حيّاة المرأة ومشاعرها ورغباتها وموقعها، وهذا ينقله محمد كردفاني بسلاسة وعمق، ومن دون تصنّع وخطابية.

فيلمان يقولان أشياء كثيرة عن بيئتين ومجتمعين، وعن أناسٍ وعلاقات، وعن موروثٍ وحربٍ غير ظاهِرة (فعلٌ مباشر وآخر يُمارسه الرجل ضد المرأة). هذا يقول إنّ كلّ فيلمٍ منهما يستحقّ نقاشاً أوسع.

«إن شاء الله ولد»: امرأة تكافح من أجل حقّ تستحقّه من دون كفاح (الملف الصحافي)

ستة أفلام قصيرة في «مهرجان طرابلس للأفلام الـ11»

ستة أفلام روائية قصيرة تشارك في مسابقة الدورة الـ11 (19 . 25 سبتمبر/ أيلول 2024) لـ«مهرجان طرابلس للأفلام» (شمالي لبنان): «عذرٌ أجمل من ذنب» (البحرين) لهاشم شرف، و«الأجسام أقرب مما تبدو عليه» (مصر) لأحمد صبحي، و«البنجري» (عُمان) لموسى ناصر الكندي، وMadonna (مصر) لجون فريد، وNYA (الجزائر) لإيمان عيادي، و«سكون» (الأردن) لدينا ناصر.

عن قصة حقيقية، يروي شرف (كاتب السيناريو أيضاً) حكاية شاب يُريد إصعاد حصان إلى منزله. أحد سُكّان المبنى (عجوز) يتصدّى له، فينشب نزاع، ينتشر في المبنى والشارع. لا أحد ينجح في فكّ النزاع، ولا صلاة يُدعى إليها الجميع في الجامع. عندها، يتسلّل الشاب من الجامع، كي يُنفّذ ما يريد، فيلحق به العجوز. فيلمٌ يمزج بين كوميديا ساخرة وواقع قاس.

صبحي (كاتب السيناريو أيضاً) يروي، بدوره، حكاية واقعية: عائلة تعاني انكساراً ما في علاقة الأب بالأم، وشاب يريد مالاً لتسديد دين، وتفاصيل عادية، لكنّها جزءٌ من خراب تعانيه بيئة، ويعيشه أفرادٌ. هذا غير حاضرٍ في «البنجري»، المائل أكثر إلى خُرافات شعبية، ومجتمع نسائي، وعلاقات متوترة، وماضٍ ضاغط. فحَصِينة (وفاء الراشدية) أرملةٌ عمياء، تحمل تاريخ زوج في بيئته، وتجهد في شفاء نساءٍ وأولادهنّ من أمراض، بممارسة طقوسٍ غير واقعية البتّة. نقيضه ظاهرٌ في حكاية جون فريد: كاهنٌ (عبد العزيز مخيون) يستلم إدارة دير، وخادمةٌ تحتاج إلى مال لإجراء عملية جراحية لابنتها، وكلامٌ عن أفعال بشرية بين خطأ وصحّ، وسرقة أيقونة العذراء تفتح باباً أمام ماضٍ وراهن. من الجزائر، تستعيد عيادي بدايات العشرية السوداء، في حكاية أم وابنتها، التي تريد أنْ تُصبح إعلامية، وتنتظر عودة والدها من الصحراء حيث يعمل. شبح الموت يُخيف الابنة، والتشدّد الديني فاعلٌ. بينما دينا ناصر تروي، بجمالية سينمائية رائعة، حكاية هند (ملك نصار) المراهقة الصمّاء، البارعة في الكاراتيه، لكنّ المدرّب (سعيد الريماوي) يعتدي جنسياً عليها، فتُصاب بصدمةٍ، ربما تتغلّب عليها لاحقاً.

نديم...

أقوالهم

كانت سوندرا لوك (Getty) تمتلك سحراً خاصاً بها، غامضاً وغير اعتيادي: شاحبة وصبيانية أو جذّابة بأنوثة متطرّفة. متقدّمة في العمر، أو امرأة لا تكبر. شديدة الإنسانية، أو كأنّها آتية من أقصى أرجاء الفضاء. كانت إحدى أكثر الشخصيات إثارة في سينما القرن الـ20.

آدم وايت

كانت أنوك إيميه (فرانس برس) رفيقة دربي وصديقتي. منحتني كلّ الفرص، وقالت لي «نعم»، عندما رفضني الآخرون، يوم كنتُ مخرجاً شاباً. بفضلها وحدها، كنتُ على حافة النجومية، وستظلّ صورتها محفورة إلى الأبد على شاطئ نورماندي (حيث صوَّر «رجل وامرأة»، 1966). بعدما جعلت العالم كلّه يحلم، ستجعل الملائكة تحلم (الآن).

كلود لولوش

في «ما بعد..»، استبقت مها حاج (Getty) النقاشَ في موقع الإبادة، واستعادت غزّة في أجمل وأنقى حضور للقطاع في التاريخ السينمائي الروائي الفلسطيني. حسم الفيلمُ الإجابة بالإيجاب: نعم، يُمكن للإبادة أنْ تكون موضوعاً رئيسياً لسينما الفلسطينيين، ويُمكن للقطاع أنْ يحضر بشكل ومضمون يستحقّهما.

سليم البيك

أفعالهم

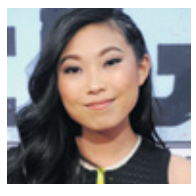

Jackpot لبول فيغ، تمثيل جون سينا و**أوكْوَافينا** (WireImage) وسيمو ليو: في مستقبل قريب، تُنظَّم مسابقة خاصة جداً في اليانصيب، في ولاية كاليفورنيا، التي تعاني صعوبات مالية كبيرة. يوفّر هذا اليانصيب للجميع فرصة الفوز بالجائزة الكبرى، شرط أنْ يقتلوا الفائز قبل غروب الشمس. تعثر كاتي على التذكرة الفائزة، فتواجه الموت بشراسة، كي تحصل على مليارات الدولارات (الجائزة).

Kabut Berduri (باللغة الإندونيسية) أو La Frontiere Des Ombres لأدوين، تمثيل **بوتري مارينو** (Getty): مسكونة بماضيها القاسي، تحقّق سانجا في جريمة قتل مرعبة، حصلت أخيراً في منطقة تقع على الحدود بين إندونيسيا وماليزيا. أثناء ذلك، تتعيّن عليها مواجهة هذا الماضي أيضاً (نتفليكس).

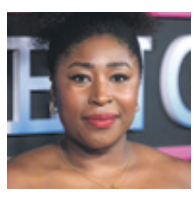

Land Of Bad لويليام أوباك، تمثيل راسل كرو و**شيكا إيكوغْوي** (Getty): يتعرّض فريق «دلتا فورس» لكمين في أرض عدوّة، فيرفض ضابط مبتدئ التخلّي عنه. الأمل الوحيد معقودٌ على قائد «درون» تابع للقوات الجوية، خاض سابقاً معركة وحشية في 48 ساعة للنجاة.